# اعتذار كاتب عربي إلى العراقيين جميعا مع الاعتذار

هذا الاعتذار هو مفتتح رسالة كاتب عربي أرسلها إلى كاتب عراقي، قرأت الرسالة في أحد المواقع الالكترونية واستوقفتني عبارته في المفتتح التي تنبهنا إلى الأخلاق الثقافية التي نحتاجها، فالرسالة التي صبغت بألم واضح، وشعور كبير بالذنب سيطر على كلمات الكاتب العربي، تضيء لنا مساحة من العلاقة الملتبسة بين المثقف العراقي وبين من يحسب على المثقفين العرب. فقد تحدث الكاتب عن موقف المثقف العربي وتفرجه على مشهد الدم العراقي الذي يسفك يومياً باسم المقاومة أو تحت لوائها، ففي الوقت الذي يتعرض فيه المثقف العراقي إلى هجمة شعواء، بفهم انه يسوغ ظروف الاحتلال، لا يتحرك ضمير عدد كبير من المثقفين العرب من أي جنسية كانوا أمام مشهد تناثر أجساد أطفال العراق يومياً،هؤلاء الأطفال الذين لا علاقة لهم لا بالاحتلال ولا الإرهاب، سوى إنهم لا يقاومون فضولهم عندما يرون دبابات الاحتلال تتحرك هنا وهناك، فيقتربون منها يتأملون هذه الوحوش التي قلبت حياتهم، وأحالت أيامهم إلى نار وموت.

الكاتب العربي تألم كثيراً من مقالة الكاتب العراقي وهو يرد على أحد هؤلاء الذين يزايدون على الدم العراقي ومصير الملايين، فاعتذر له قائلا: إنني والمرارة تملأ حلقي أقول لك: لا لوم ولا عتب عليك فيما ذكرت لان الصالح يذهب به الطالح كما يذكر المثل، ويقال المثل في حال كان الصالحون لهم الغلبة والطالحون هم أقلية، فكيف الحال وقد غدا الطالح أكثر من الصالح بكثير وأعني بالتحديد مواقف المثقفين العرب من المأساة العراقية.موقف الكاتب صاحب الرسالة ينطلق من رفضه لكل أشكال القمع والظلم الذي تعرض له الشعب العراقي وبضمنه المثقفون، فقد اعتدنا ولوقت طويل على أن يصب المثقف العربي . وتحديدا المهزوم منهم . الزيت على النار ويعطي الشرعية في كتاباته لأعمال الموت والدمار، وتخريب المنشآت العراقية، وتسميم مصادر المياه وتحطيم محطات الطاقة الكهربائية، فقد ذهب هذا البعض المهزوم، إلى اعتبار تدمير مصادر الطاقة الكهربائية ومحطات تنقية المياه، تدميرا للمشروع الأمريكي في العراق. فشتان بين ضمير هذا الكاتب وضمير (فايز صلاح أبو شمالة) . أحد أبواق الإرهاب والموت . الذي يعتقد أن سفك الدم العراقي بهذه الطريقة العشوائية حلال، وضرب البنية التحتية للدولة العراقية أمر مشروع، فرد صاحب الرسالة بضمير إنساني حي قائلا: أن ليس لإنسان كائنا من كان فلسطينيا أو عروبيا أو إسلاميا ليس له الحق بتوصيف الحالة العراقية إلا من منظار الشعب العراقي أو غالبية العراقيين في أسوأ تقدير والغالبية المطلقة من العراقيين اليوم ترى أن سقوط الصنم كان خلاصا من جحيم الدكتاتورية الصدامية القميئة، خلاصاً للعراق فرض عليهم من الخارج بقوة سلاح لم تصمد أمامه جيوش صدام وآلته العسكرية. فنقول لأبي شمالة الغزاوي بدلا من دعوتك الناس للقتال في العراق إن فلسطين قريبة على مرمى حجر منك أيها المناضل، ولو سكت أمثالك من العرب لانتهت المأساة العراقية، ولتوقف نزيف الدم، ولاستعاد الشعب العراقي كرامته، هذا الشعب الذي أباد الدكتاتور الذي تدافع عنه مئات الآلاف من أبنائه وشرد الملايين منهم في أصقاع الدنيا.

لقد عرى هذا الكاتب الكثير من المثقفين المرتزقة الذين يرقصون على أشلاء العراقيين تحدث على مرأى ومسمع منهم إبادة يومية لمئات الأبرياء دون أن يرف لهم جفن كما يقول صاحب الرسالة، ولم يحركوا ساكناً، وإنما راحوا يزايدون على مصير العراق ومستقبل أبنائه والسبب كما قال هو الملايين من الدولارات والكوبونات النفطية التي عرف الدكتاتور كيف يشتري ذمم هؤلاء المسخ بها.

كلمات هذا الكاتب ربما توقظ بعض الضمائر التي نامت لزمن، وسكتت عن مسلسل القتل، وراحت تغذي هذه النزعة الشوفينية والعنصرية المحللة للدم العراقي طبقا للهوية، لتكشف لنا عن العقدة الراهنة لبعض المثقفين العرب من التغيير الذي حدث في العراق، وشعورهم باليأس والإحباط الذي يلف حياة وتفكير الملايين العربية، وهي ترزح تحت هيمنة أنظمة تغامر بمستقبل وحياة شعوبها، بمسميات عدة، أنظمة أثبتت فشلها ودفعت المجتمع العربي إلى حالة من الضياع والتخلف والشعور بالدونية والانسحاق.

تحدث الكاتب في رسالته عن هؤلاء وكيف ينظرون إلى العراق والعراقيين نظرة شوفينية طائفية عنصرية حاقدة وعلى هذا الأساس استمرت هذه النظرة إلى اليوم من خلال ادعاء هؤلاء أن عمليات التدمير والقتل والذبح على الطريقة الشهيرة التي تحدث في العراق اليوم هي مقاومة في حين أن هذا التوصيف (المقاومة) هو نتاج تلك النظرة الشوفينية العنصرية للعراق وشعبه، والحقيقة انه لو ظلت السلطة في العراق بأيدي أقلية ما لما شاهدنا اليوم لا مقاومة ولا ما يحزنون طبقا للكاتب.

لقد تحدث صاحب الرسالة بما في ضمير وقلب الكثير من العراقيين الذين يدفعون ثمن هذا الموقف الأخلاقي المريض لعدد غير قليل من المثقفين المتاجرين باسم الإسلام والقومية، وهم يعزفون لحن العنصرية والطائفية مبررين قتل أبناء الرافدين على هذا النحو.

ربما تحرك رسالته ضمائر آخرين من الذين يطالبهم الشعب العراقي بالاعتذار منه لتأييدهم للدكتاتور وبقاياه من الذين يطبلون ويزمرون لعهد لا عودة له إلا في أوهامهم،وأرعبهم سقوط صنمهم في ساحة الفردوس، الصنم الذي وعدهم بمستقبل وهمي على حساب الدم العراقي، فقد كان يدفع لهم بعد أن يجوع الشعب العراقي، أسكنهم في فنادقه الفخمة وحشر العراقيين في بيوت من صفيح، قدم لهم ما لذ وطاب وقدم للعراقيين نوى التمر المطحون،دفع لهم مئات الدولارات لينشدوا قصائدهم السخيفة في مدحه، بينما يموت الرضع من الجوع.

نقول لصاحب الرسالة إن هؤلاء اعتاشوا على دماء الأطفال طيلة سنوات الحصار، وهؤلاء هم أيضا من سرق قوت أطفال العراق بمساعدة الصنم لهم، وهاهم يحللون دماءهم الآن، وإلاّ كيف نفسر صمتهم عن مجزرتي بغداد الجديدة والمسيب.، فلا تستغرب موقفهم هذا، بعد أن ذهب طاغيتهم الذي حرم الشعب العراقي من المأكل والملبس ليدفع لهم، وهم من دون خجل يجملون صورته ويزينون قبائحه، فسقطوا من نظر شعوبهم، لأنهم خانوا الشعب العراقي، وخانوا الثقافة العربية بهذه المواقف الداعية لذبح الطفولة، بهلوانات الطاغية المجرم رضوا بدور المهرج الذي يرفه عن قاتل أباد شعباً بأكمله ودفن أطفاله إحياء في كركوك والنجف والبصرة.

وبعد خروجه من حفرته تهاوت أحلام هؤلاء وأخذتهم العزة بالإثم، ولم يعتذروا حتى لأهالي الضحايا كما حصل في بلدان أخرى. وإنما استمروا بذبح الشعب العراقي بمقالاتهم التي تدفع وتحرض على القتل لا لشيء إلا لأن صنمهم لم يظهر كما كانوا يريدون، لأن بطلهم الوهمي سلّم نفسه بمنتهى السهولة خائفاً على حياته، بعد أن أوهمهم بتحرير بيت المقدس، وتدمير الغزاة، ونسوا أن من لا خير له في أهله، لا خير له بغيرهم، ولأن الشعب العراقي بعد ذلك خرج وسط السيارات المفخخة والأحزمة الناسفة وخطى خطوته في الانتخابات التي صدمت هؤلاء وأفقدتهم بصرهم وبصيرتهم وهم يرون وللمرة الأولى كيف يخرج شعبا بأكمله من السجون وكيف تنعتق الملايين من أسر الطغاة.

لقد وضع الكاتب صاحب الرسالة أصبعه على موضع الجرح في هذه القضية، ولأهمية الجزء الأخير من رسالته سأختم بها كلامي: ((حاشى أن تدنس كرامتكم أخوتي أبناء العراق شيعة وسنة وأكرادا وكلدانيين وأيزيديين وصابئة وباقي مكونات شعبكم الجميلة لا لشيء إلاّ لأن كرامة الإنسان،أي إنسان في هذه الخليقة لا يمكن أن تدنس من قبل مسخ وممسوخين بحاجة إلى عشرات السنين لكي يرتقوا لمستوى البشر. وعلى الرغم من هذا فاني أقدم اعتذارا باسمي وباسم كل من يتفق معي ومع الإنسانية في أن ما يحصل في العراق هو عبارة عن حرب ابادة طائفية عنصرية لا تمت لا للمقاومة ولا للمقاومين بصلة. وأنا على ثقة تامة بأن شعب العراق الذي واجه محناً أكبر من هذه بكثير وخرج منها أشد بأساً وإصراراً على مواصلة الحياة سيخرج من هذه المحنة قريبا منتصرا على الإرهاب وفلوله وعند ذلك سيعلم الذين وقفوا إلى جانب الدكتاتور وفلول الإرهابيين القتلة، سيعلم هؤلاء بأنهم قد خسروا العراقيين إلى الأبد)).

قاسم محمد عباس
qassm950@yahoo.com

فاصلة

# هويات ثقافية ممزقة تبحث عن وطن

شاكر الأنباري

امين معلوف

نايبول

المكان ينمو نمو البشر، تتغير ملامح الطبيعة، وتتآكل البنايات. وتقوم واجهات جديدة، فالزمن له وقع ثقيل على الانسان والجمادات. ان الانقطاع عن المكان الأول يحدث فجوة في الروح، وهذا ما أحسست به ما ان عدت الى القرية، بعد اكثر من عشرين سنة من المنفى. القرية التي ولدت فيها، وعرفت خباياها ونباتاتها وطيورها وغبارها ونخيلها، لم اتعرف عليها في البدء، تضاريسها الأولى انمحت وزالت، ومن ذلك مقبرتها الصغيرة النائمة على طرف صحراء الجزيرة. تغير المكان بقوة لكنه ظل ملونا بحكاياته القديمة، حكايات سنوات سابقة من طفولة مهملة. ذات صباح اكتشفت طائرا غريبا، يبدو انه وفد الى القرية بعد رحيلي. لم يكن مفردة في قاموس الطفولة، صوته يشبه قرع نقارات خفيف، ومنقاره ابيض وجسده أسود وهو بلا ذيل. في الصباح يبدأ ارسال نغماته الثخينة المتلاحقة، مع تصويت موسيقي يفتح النفس. ذكّرني بطائر البنتفي الذي ادهشني بصوته في صباحات ساوباولو البرازيلية قبل عشر سنوات.

ليس طائر الخضر ولا الشقراق ولا ابو الحناء. ليس الهدهد ذا العرف الذهبي الذي كنا نصطاده للتسلية، ولا هو نورس الحقول المعروف عندنا بالططوة. تلك طيور الفتها جيدا.

سألت عنه اخوتي، فلم يعرفوا من أين جاء ذلك الوافد.

الابتعاد عن المكان ينحت فجوة في صخور الكائنات، روحية قبل ان تكون ملموسة. تغيب ملامح وتولد اخرى. ظل المكان الأول صورة مسجلة في الذهن، الا انه زال واندثر، مع ناسه وحكاياتهم، مع ان قسما كثيرا من اولئك الناس بقوا احياء. تلك الحقائق تجلب الحزن الى روح العائد الى وطنه، وعلى كاهله عقود من الاغتراب، والسفر، والسياحة في العالم الخارجي. حدث هذا لي ايضا حين عدت الى مدينة السليمانية التي عشت فيها خمس سنوات، اثناء دراستي الجامعية للهندسة. تركتها في سنة ثمانين من القرن الماضي وزرتها في سنة الفين حين تم الاحتفال بمئوية الجواهري في اربيل والسليمانية، فأحسست بنفسي غريبا فيها. لم اتواصل معها روحيا، وفسرت ذلك وقتها بتغير معالم المدينة. رأيت ابنية الجامعة والشوارع والمقاهي التي كنا نجلس فيها، والجبال المحيطة وقد دأبت اعيننا على مسامرتها خمس سنوات في فورة الشباب، لكني شعرت بها مدينة ثانية، مجهولة لا انتمي اليها. انقطع تواصلي مع اسواقها المسقوفة وفتياتها الموردات الخدود ومكتباتها وحاناتها. هذا الشعور ربما يهضم وينظر به حين يحدث مع الجمادات، مع الشوارع والأنهار والأبنية والحدائق والنخيل، لكنه حين يحدث مع البشر فهو يملأ النفس بالحزن والخيبة والخواء. التفسير الوحيد الذي اقنعني هو ان الأمر يكمن في داخلي انا، وليس في المكان او اصحاب المكان. انا الذي تغيرت بعد هذه السنوات. انا الذي امتلأت دواخله بالماضي والأمكنة البعيدة.

لقد غيرتني علاقات عشتها، ومدن رأيتها، وبلدان زرتها، ومياه سبحت فيها وشربت منها، وثلوج تختلف عن ثلوج مدينة السليمانية التي كانت بالنسبة لي شيئا غامضا وبهيجا. في قريتي لم تسقط ثلوج على الاطلاق. رأينا البرد فقط، ولعبنا مع حباته والتهمناه، لكن لم نر ثلوجا. انا من تغير وليس المكان فقط. الوشائج الداخلية التي كانت تترابط مع مؤثرات المكان الأول زالت. تخلّقت مراكز حسية جديدة نتيجة هواء آخر ووجوه أخرى ولغات ذات محمولات رمزية ثانية. قاموس الأصوات مخالف، وكذلك قاموس الروائح والمبصورات والمسموعات. هذه تجارب داخلية يصعب الاحساس بها لمن لم يعشها ويخضع لمفاعيلها. طوال سنة من عودتي لم التق اي وجه أعرفه صدفة في الشارع او المطعم او محل العمل. عرفت كثيرا من الأشخاص خلال دراستي في الجامعة واثناء خدمتي العسكرية وسفراتي داخل الوطن. ربما كنت التقيهم لكنني لم اتعرف عليهم. احيانا كانت تمر علي وجوه احس انني اعرفها او عرفتها حين كانت شابة ذات يوم، الا ان ملامحها ظلت ثابتة في رأسي. زمنها غير زمني. الصورة المختزنة لا تشبه الصورة التي امامي. ربما بعض من الملامح فقط. حين وصلت القرية في اليوم الأول جاء رجال ونساء للسلام علي، كنت اعرفهم جيدا. تربيت معهم وعاشرتهم، وصورهم ظلت في ذاكرتي حين كنت أطوف بين البلدان. لكل اسم قصة وحديث. كنت اتطلع في الملامح واشخّص بعضها لكنني نسيت اسماءها. فاضطررت الى الاعتماد على اخي الأصغر كي يذكرني بهم. بالمناسبة لم اتعرف على اخوتي ايضا، فقد كبرو وشابوا وقست ملامحهم وبانت عليهم شخصياتهم الداخلية فأفرزت لكل واحد صفة. المفاتيح التي كنت أحملها لاخوتي لم تعد صالحة للدخول الى أرواحهم. الزمن غيّر الأقفال والمفاتيح. الا ينطبق هذا على الأمكنة ايضا؟

تظن انك تعرف مفاتيح مدينة ما، ثم تغادرها سنوات وتعود، لتجد ان مفاتيحك لم تعد ملائمة. المفاتيح تتجدد بتجدد المكان وكذلك البشر، يتجددون ويتغيرون بتغير الزمن والتجارب والأحداث. الحياة مصنوعة من احداث تجري في الزمن، ولكل مكان احداثه. اكثر من مرة يقول لي شخص ما اذا ما كنت سوريا او لبنانيا. انا على ما يبدو لم اعد عراقيا مئة في المئة. لهجتي ما عادت تلك اللهجة نفسها التي يتكلمها ابن الأعظمية الذي لم يغادر الوطن او ابن العمارة. وكذلك تعابير وجهي. التجارب المعاشة تظهر في التعابير. تعيش عشر سنوات في فرنسا، تتكلم لغتها، وتأكل طعامها، وتقرأ صحفها، فاذا بك تحمل شيئا منها. تصبح فرنسيا بنسبة ما، حتى لو كانت النسبة ضئيلة. هل هذا امر جيد ام سيء ؟ يصعب الجواب.

هل المسؤول هو أنت ام الظروف المحيطة بك؟ وتلك اشكالية الهويات التي كرس لها امين معلوف كتابا كاملا، وكذلك كتب عنها الطاهر بن جلون وميلان كونديرا وادوارد سعيد وسواهم. انها على ما يبدو اصبحت اشكالية كونية، لا تخص المثقفين والمبدعين والمفكرين بل عامة الناس في هذه الحقبة المحكومة بالهجرات والتحولات واللجوء والانزياحات الحضارية. الملايين من الهنود الذين يعيشون في بريطانيا، هل بقوا هنودا حقا ام اصبحوا انكليزاً، ام بين بين؟ مرة اخرى هي اشكالية الهوية والانتماء والعولمة والاندماج الحضاري الجاري بشكل كوني.

انا الآن في العراق، اعي هذا جيدا، كل ما حولي عراقي، عدا المارينز طبعا، لكن في لحظة ما خاطفة، تقع عيناي على البنت دوتا في شارع الربيع وسط بغداد. دوتا فتاة دنماركية كانت صديقة لي فترة، شقراء وعيناها زرقاوان ومتوسطة القامة. كيف يحدث هذا؟ تخطف تلك البنت فجأة فأقرأ فيها دوتا الدانماركية، وتنبثق صورة دوتا من اللامكان. يعود لي صوتها ونبراته، وعيناها والألق البحري الذي فيهما، والأسنان البيض والغنج الأنثوي. انا لست في كوبنهاغن انما في بغداد، فمن اين انبثقت دوتا؟ من اين انبثقت سعاد وجميلة وهناء وكرستين وسميرة وغيرهن؟ من الداخل طبعا، من تلك المساحات غير العراقية التي احملها في داخلي. احيانا اعطي الحق لبعض الأصوات العراقية التي تعيب على القادمين من الخارج اليوم بأنهم لم يعودوا عراقيين، واغتربوا طويلا عن المعاناة. هذا صحيح في وجه من الوجوه. عشرات السنين من الاختلاط بحضارات اخرى ينبغي عليها ان تغير الانسان. وفي الوقت ذاته افكر في ان العراق الذي نرغب فيه يجب ان يكون هكذا: عراقا حضاريا غير منغلق، منفتحا على العالم وحركاته وأفكاره وتقنياته وصرعاته. نحن لا نستطيع ان نكون جزيرة منعزلة في المحيط الضاج من حولنا. وربما هي ليست اشكالية عراقية فحسب، بل هي تخص الثقافة العربية، او المجتمعات العربية برمتها. يجب ان تفتح الباب على مصراعيه امام ما يجري في الخارج. يجب ان تجرب التلاقح في الأفكار والعادات والمآكل والأفكار والصناعات. هذا هو الطريق الصحيح لتفادي الانغلاق والتطرف والأصولية، ولاحقا الانتحار الحضاري.

ومثلما جرى الأمر مع البنت الدانماركية يجري ايضا مع اصدقاء عاشرتهم في سورية ولبنان والبرازيل وبريطانيا وغيرها من البلدان التي عشت فيها فترة، او زرتها. المح شخصا ينزل من سيارة نقل عام فأرى فيه وجه صديقي الشاعر الذي تركته ذات يوم في مقهى الروضة وسط دمشق. كيف جاء الى هنا؟ اتملى فيه مليا لأكتشف بعد حين انه نسخة طبق الأصل منه لكنه ليس هو. انه متزوج ولديه طفل ويكتب الشعر ويواظب على وظيفته هناك ولا يمكن ان يأتي الى بغداد. هذه اللحظات الخاطفة تجري لي كل يوم تقريبا. في البارات والمقاهي ومحل العمل والشوارع. ماض لن يزول بسهولة، فهو هناك، ينمو ويثمر في داخلي بكل ما فيه من وجوه وقصص ونوادر وفضائح وسعادات. ادخل شارعا في بعقوبة وأرى في واجهات بيوته وأشجاره وفضائه الشارع ذاته الذي قطنته في لندن قبل عشرين سنة. لا يعيدني الى حقيقة اني في العراق سوى نداء بالعربية يطلقه بائع متجول او اشخاص يتحاورون عند الناصية. احاول ان اجد التشابه وسبب النكوص الى طبقة مكانية سابقة، وما هو الباعث وما هي الشرارة التي الغت هذه السنوات الطوال، فلا اعثر عليها.

اتذكر حينها الروائي الترينيدادي من اصل هندي، نايبول الحائز على نوبل، فأجد انه خير من عبر عن هكذا لحظات او تمزقات في الحضارة المعاصرة. كانت معظم شخوص نايبول تعيش هذه الازدواجية: ازدواجية الحضارات والهويات والأزمنة. ابطاله كونيين صاروا، وبات عليهم تقبل حقيقة انهم لم يعودوا مواطنين اصلاء لأي بلد. ليسوا تابعين لأي دين او عقيدة او مكان. هل تتجه البشرية الى خلق انسان من هذا النمط؟ افكر بالأوربي الذي يعيش في البرازيل خبيرا في احدى الشركات، ويقضي هناك عشرات السنين. وأفكر بالباكستاني الذي استوطن جنوب افريقيا وصار يعيش من بقاليته في احد الشوارع الفرعية في الضاحية النائية من جوهانسبيرغ. وافكر في اللبناني الذي هاجر الى شيلي وراح يتكلم الاسبانية ويحتفل بأعياد الشعوب ما قبل الكولومبية. جميعهم ادركوا ما هم عليه، وتقبلوا مصيرهم، مصير اشخاص يعيشون في عصر جديد، عصر العولمة او اندماج الحضارات او رحلة المسير نحو ايثاكا، نحو بلوغ المواطنة العالمية التي لا تعد فرصة بل واقعاً مفروضا.

العاب الطفولة اندثرت، التماس مع الطبيعة خلّف وراءه ذلك العالم السحري الذي نسميه التلفاز والأنترنيت. وجد حتى الطفل نفسه في خضم عالم واسع، بعاداته المتنوعه وألعابه الالكترونية وأفلامه وأحداثه المصورة التي تجري على مدار الساعة. العالم القديم ما عاد سوى حكايات تروى في قيلولات الظهيرة، اما الحاضر فهو الكون كله. جزء كبير مما يجري في عراق اليوم له علاقة بهذه الحقيقة. عراق قديم منغلق على المحلية المتخلفة، المنتمية الى التقاليد المتكلسة المترسبة منذ العهود العثمانية، وعراق جديد يتلمس خطواته في خضم المعاصرة، التواصل مع الخارج، القفز على حواجز الوطنية المنتفخة والتدين المنافق والعشائرية المتلبسة برداء التقاليد الأصيلة والحنين الى ماض غاب ولن يعود. في المواجهات التي حدثت بين الجيش الأميركي والاصوليين وأنصار العهد القديم شاعت اساطير غريبة بين عامة الناس، منها ان جيوشا من العناكب ناصرت المقاتلين وصارت تضرب المارينز، وهذا يحيل الى حادثة غزو ابرهة الحبشي للكعبة. ومن تلك الاساطير ايضا ان شهود عيان رأوا بنادق غامضة راحت تطلق الرصاص على العدو من دون ان يمسكها أحد. تلك نماذج من عقلية العراق القديم، العقلية الغيبية وقد ظنت ان الاتكاء على الغيب وسيلة صحيحة لمقاومة محتل يدك المدينة بأحدث الاسلحة، ويستطيع ازالتها من الوجود بكبسة زر.

الغاء العقل وسيلة المهزومين حين يواجهون خطرا اضخم من ان يقفوا في وجهه. التمزق الحضاري موجود لدى الغالبية هنا، رغم ان قسما منهم لم يخرج من العراق. وتلك مفارقة أخرى. هم يعانون ذلك التمزق كونهم يعيشون زمنين في الوقت ذاته، لكل زمن بواعثه ومواصفاته وهواجسه وسماته. ففي حقبة التحولات الكبرى تتناثر الكتل الصلبة للبشر وتتشظى. يضيع المرء بين وجوه متعددة للحقيقة، أو الواقع. الرسو الى جانب ما يتطلب زمنا وتفاعلات ومقارنات بين هذا وذاك. وعلى مر الزمن تنحت ثانية هوية أخرى. تغيب الهوية القديمة وتحل محلها هوية الحاضر، المنفتح على الجهات.

العراق الجديد يختلف كليا عن عراق ذلك الزمن الذي خرجت فيه الى أرض الله الواسعة. الجدة لم تأت بسبب التطور فقط، انما نتجت عن تفاعلات سياسية واقتصادية واجتماعية، حرّكت مياهها الساكنة هزات وزلازل حدثت في العشر سنوات الأخيرة من حياة العراقيين. اعتقد ان ذلك الاختلال في الروح العراقية سيستمر فترة من الزمن، الى أن يأتي جيل جديد متناسق مع الظروف، لا يعيش حالة التمزق الحضاري التي عاشها جيلنا، جيل ابنائنا حين ينمو في ظل بيئة حضارية منسجمة مع ايقاعات العصر، ومنفتحة على الآخر، وعارية من قشور الغيبيات والأوهام التي غذتها السلطة السياسية بكامل مؤسساتها على امتداد عشرات السنين.

يسهل الحديث عن فرد وتجربة بذاتها، لكن الحديث عن شعب بأكمله يتطلب عدة اخرى، عدة الفكر البشري المحصن بنظريات حديثة ومغامرات عقلية وخبرات، ذلك هو الفكر الذي وصل الى الحافات القصوى من حريته.

# أدباء العمارة وكتاب (المدى) الشهري

محمد الحمراني

الكثير من الادباء لم يكن بامكانهم شراء الكتب بسبب غلائها ، ما جعلهم يبحثون عن منافذ اخرى للحصول عليها، كاستعارتها من أصحاب المكتبات مقابل مبالغ معينة، أو تبادل الكتب فيما بينهم. وجاء مشروع كتاب (المدى) الشهري ليوفر للكثير من ادباءالعمارة كتباً مميزة . حول مشروع (المدى) وتاثيره عليهم كانت لنا احاديث مع بعضهم فالتقينا في البدء رئيس اتحاد ادباء ميسان الشاعر جمال الهاشمي الذي قال : يعتبر كتاب المدى الشهري نافذة للكثير من المثقفين في العمارة واغلبهم مشتركون بجريدة المدى من اجل الحصول على الكتاب في أوانه، وتأتي خصوصية كتاب المدى الشهري من طباعته والى العناوين التي ظهرت منه وهي توفر للقارئ فرصة الاطلاع على كتب مهمة مثل كتاب الإسلام واصول الحكم للمفكر علي عبد الرازق، ونطمح إلى ان نرى كتبا جديدة ومميزة. اما القاص سالم حميد فقال: لقد عاش بلدنا خلال فترة الدكتاتورية مرحلة لا ثقافية عززت الامية والغت سلطة الكتاب وكنا بحاجة إلى ان يعاد دور الكتاب في الشارع العراقي وتعود المكتبات البيتية التي باعها اغلب الادباء وكان مشروع كتاب المدى هو المنقذ للكثير من الادباء والقراء الفقراء، وعلى الصعيد الشخصي استمتعت كثيرا بكتاب الامير الصغير وبرواية صمت البحر واتمنى ان نقرأ اعمالاً ادبية لكتاب ما بعد الكولونيالية لنتعرف على هذا الادب المجهول لدينا.

الشاعر حسن السلمان ابدى الرأي الاتي: لقد كنا نتوقع من الاستاذ فخري كريم أن يقوم بمشاريع مهمة في الثقافة العراقية فجاء كتاب (المدى) الشهري، وكنت سعيدا ان ارى كتابا رخيصا مع سعر الجريدة علما ان الكثير من الكتب التي اصدرتها المصدى تباع باسعار مرتفعة هذا ان وجدت ، واثارتي تنوع الكتب التي صدرت فبعضها ديني تنويري وبعضها ادبي والبعض الاخر مذكرات وحكايات وهذا ما نحن بحاجة اليه في هذه المرحلة.

اما الناقد "حسن الكعبي" فقال: اعتقد بان القارئ العراقي متلهف للحصول على كتاب ثمين وبسعر رخيص ، فعلى الرغم من تحسن الحياة الاجتماعية للكثير من فئات المجتمع العراقي ظل الادباء بوضع مادي سيئ واغلبهم بلا وظائف ، وهم بحاجة إلى كتب باسعار زهيدة وهذا ما وفرته جريدة المدى من خلال اصدارها الشهري ولكن للاسف بعض باعة الصحف الجوالين يبيعون الكتاب بـ (٥٠٠) دينار بمعزل عن الجريدة ونتمنى ان تعالج المدى هذه الحالة غير الصحية.

الشاعر هاشم لعيبي قال : سابقا كنا نتبادل الكتاب الذي نحصل عليه وينتقل الكتاب الواحد بين خمسة أو ستة اصدقاء وربما يضيع ، ومشروع كتاب المدى هيأ لنا كتبا كنا نحلم بقراءتها واتمنى ان نقرأ من خلال اصدارات المدى القادمة روايات من العالم الثالث لما تحمل من خصوصية مقاربة لواقعنا الان.

اما الناقد محمد عزيز فقال : اتمنى من المسؤولين عن كتاب المدى الشهري ان يختاروا عناوين في علم الاجتماع أو النقد أو الفلسفة. وهذه المفاصل لها قراؤها ونجاح الكتب التي صدرت سيجعل القارئ لا يتردد في قراءة كتب في توجهات اخرى وانا من المواظبين على قراءة كتاب المدى الشهري، واثمن الجهود التي يبذلها القائمون على هذا المشروع.

## من كانط إلى هابرماس مدخل إلى الفلسفة الألمانية

تأليف :اندرو باوي
الناشر: بلاك ويل بوبليشير .لندن

مؤلف هذا الكتاب هو الباحث اندرو باوي المختص بالفلسفة الألمانية وهو هنا يقدم لنا صورة بانورامية واسعة عن تطور هذه الفلسفة والمراحل التي مرت بها على مدار القرون الثلاثة المنصرمة: أي منذ عصر كانط وحتى اليوم.

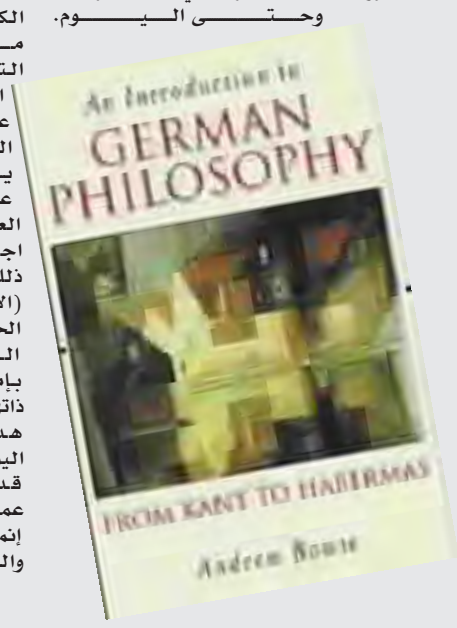


## إنهاك النخب

تأليف :فرانسوا دوبي
الناشر: سويل . باريس ٢٠٠٥

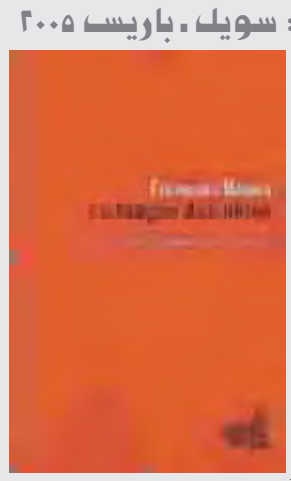

هذا الكتاب الجديد يخص (الرأسمالية وكوادرها)، وبالتحديد أكثر قلق الكوادر في مواجهة التبدلات التي عرفتها الرأسمالية في عصر العولمة..لمؤلفه فرانسوا دوبي وهو عالم اجتماع له العديد من الكتب في هذا الاتجاه ذلك في ظل الفكرة السائدة بأن الكوادر هم (الأكثر قدرة على المنافسة) في الاقتصاد الحديث. هؤلاء الذين يقدم لهم النظام الرأسمالي بطبيعته الكثير من الوعود بإمكانيات تحقيق مشاريعهم، بل و(تحقيق ذاتهم). الفكرة الأساسية التي يطورها مؤلف هذا الكتاب في تحليلاته تقول إن (الكوادر) اليوم الذين تنتظر منهم المؤسسات والشركات قدراً كبيراً من الإخلاص لها والتفاني في عملهم من أجلها من باب (المصلحة المتبادلة) إنما بدأوا يفقدون الإيمان بهذه المؤسسات والشركات..

## الإرهاب والليبرالية

تأليف :بول بريمان
الناشر: و.و. نورتون وشركاؤه نيويورك

مؤلف هذا الكتاب هو أحد كبار الشخصيات في اليسار الأميركي، وهو يكتب بانتظام في مجلات عديدة لمجلة النيويورك تايمز ومجلة الجمهورية الجديدة. وفي هذا الكتاب الجديد يتحدث المؤلف عن المشاكل التي حصلت مؤخراً بين الولايات المتحدة والعالم الإسلامي. ويقول منذ البداية أن عدونا ليس العالم العربي وإنما الديكتاتورية التوتاليتارية. وهي التوتاليتارية نفسها التي دمرت أوروبا على مدار حربين عالميتين في القرن العشرين من خلال النازية والفاشية. ولكنها تعود إلينا اليوم من خلال القومية العربية الشوفينية أو من خلال الأصولية المتطرفة وبالتالي فنحن في مواجهة الخطر نفسه الذي واجهناه قبل ستين سنة في أوروبا. ثم يردف المؤلف قائلا: نحن أمام حالة لا تكاد تصدق، فحكومة صدام حسين مسؤولة عن مجازر عديدة أودت بحياة مئات الآلاف من البشر، ومن ذلك فلا أحد تحرك في العالم للتظاهر ضد ديكتاتور يقتل شعبه، ولكن عندما قررت أميركا تأديبه وإزاحته عن عرشه إذا بالمظاهرات تتحرك بالملايين في أوروبا ضد ذلك! فكيف يمكن أن نفسر هذه الظاهرة؟ انها عبارة عن ضلال عقلي وخطأ كامل في التقدير، ليس إلا.

## فيتالي رامبو .. حباً في ابن

تأليف :كلود جانكولا
الناشر: فلاماريون . باريس

مؤلف هذا الكتاب كلود جانكولا هو ناقد أدبي فرنسي مختص بارثور رامبو، أحد أكبر شعراء فرنسا (وربما العالم)، في كل العصور والذي خصصه بالعديد من دراساته. موضوع هذا الكتاب لا يخص رامبو مباشرة وإنما بالاحرى يخص عالمه إذ أن المؤلف يكتب سيرة حياة والدته (فيتالي رامبو). الفكرة السائدة هي ان علاقة ارثور رامبو بوالدته كانت على العموم علاقة تنازعية وسيئة منذ سنوات الطفولة الاولى للشاعر. هكذا تمّ نعت (فيتالي رامبو) بكل الصفات التي ليس أقلها تجريحاً انها (سادية)، وأن ابنها أرثور: كان في مقدمة (ضحاياها) مؤلف هذه السيرة يذهب في اتجاه آخر تماماً ليؤكد بان كل التصرفات التي قامت بها الأم حيال ابنها (كانت لها اسبابها)